أفضل الذكر لا إله إلا الله

لا مشاحة أنه عند كافة المسلمين لا يفضل أحدهم ذكرا على ذكر «لا إله إلا الله» لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: (**أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله**) والأذكار بجميع أنواعها فهي مفيدة ونافعة، ولا فرق بينها من جهة اتصالها بالحضرة الإلهية لقوله تعالى: (**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**) إلا أن أفضلها ذكرا وأكملها أجرا «لا إله إلا الله».

والفرق الذي يلاحظ تقريبا فيما بين أنواع الأذكار و «لا إله إلا الله» مثله كمثل الأدوية المعدة للعلاج، فكل دواء قد أقامه الله لعلاج دائه، إلا أن جميع تلك الأدوية قد يفضلها العسل حيث صرحت الآية بأفضليته حيث قالت (**يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس**) فشهد الله له بالشفاء صراحة في محكم كتابه. فتفضل العسل على بقية الأدوية كما تفضلت «لا إله إلا الله» بنص الحديث، في شفاء القلوب وطهارتها من الحقد

والحسد، والكبر والرياء والنفاق مثلا، إلى غير ذلك من الأوصاف الذميمة التي ما اتصف بها عبد إلا أتلفت إيمانه كما تتلف الرياح بقية الرماد بعد الحريق.

وأما كون «لا إله إلا الله» علاجا للقلوب، فيستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم: **(لكل شيء جلاء، وجلاء القلوب ذكر الله)** ويروي أيضا: **(إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها ذكر الله)** فتبين بهذا أن «لا إله إلا الله» هي أفضل وجوه الذكر من جهة تاثيرها في تطهير القلوب وعلاجها مما ذكرناه من الأوصاف الذميمة.

وأما كونها هي أكمل وجوه الذكر؛ لأنها مركبة من جحود وإقرار، أي من « لا إله ـ إلا الله» فكانت بهذا التركيب الشامل للجحود والإقرار أكمل وجوه الذكر. قال مولانا الأستاذ الشيخ العلاوي ـ رضي الله عنه ـ في كتابه (المنح القدوسية).

ثم اعلم، إن «لا إله إلا الله» يندرج تحت لفظها الوجود باسره، أي الوجود الكلي والوجود الجزءي، أو تقول: الوجود الحقي والوجود المجازي. أو تقول:

وجود الحق ووجود الخلق، فيدخل وجود الخلق تحت «لا إله» والمعنى أن كل ما خلا الله باطل، أي منفي لا إثبات له، ويدخل وجود الحق تحت قولنا «إلا الله»، فكل المساوي، تدخل تحت الشق الأول، كما أن المحامد تدخل تحت الشق الآخير، **(وهو الأول والآخر)** وإذا فهمت هذا تعرف حقيقة الجمال والجلال، والجامع بين ذلك هو الكمال. إنتهى ما سطره ـ رضي الله عنه ـ في هذا الموضوع الجليل.

ومن يتأمل هذا النقل بإمعان وإنصاف يدرك حقيقة أن «لا إله إلا الله» قد أحاطت بأنواع القربات الخفية والجلية، لأن الله سبحانه وتعالى مذكور على لسان كل موجود؛ من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد.

قال تعالى في محكم كتابه: **(وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم)** فهي صريحة من كون هناك من التسبيح ما هو مجهول عندنا، وإن رأيناه أو سمعناه، ومن جهلنا به ما ربما نحمله على غير محمله، كمن يسمع مثلا قولنا «آه» فيظنها أنها مجرد تأوه، وفي الحقيقة هي ذكر، وقد مدح

الله به إبراهيم عليه السلام حيث قال: **(إن إبراهيم لأواه حليم)**.

ذكر «الرافعي» في تاريخ ((قزوين)) عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ بإسناد حسن قالت: **(دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندنا عليل يئن فقلنا له: اسكت. فقال رسول الله: دعوه يئن، فإن الأنين اسم من أسماء الله يستريح إليه العليل)** وهذا إسم من أسماء الله قد كان مجهولا حتى عند الصحابة، ثم أصبح معروفا بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم.